

شرح العقيدة الطحاوية

قوله : (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) .

ش : قال ا [تعالى : { هو الأول والآخر }] وقال A : اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء [فقول الشيخ قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء هو معنى أسمه الأول والآخر والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة فإن الممتنع لا يوجد ولا واجبة الوجود بنفسها فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالى : { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون } يقول سبحانه : أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم ؟ ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجوداً بنفسه بل إن حصل ما يوجد وإلا كان معدوماً وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه وبدلاً عن وجوده فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له .

وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله قال تعالى : { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً } .

ولا نقول : لا ينفع الاستدلال بالمقدمات الخفية والأدلة النظرية - : فإن الخفاء والظهور من الأمور النسبية فربما ظهر لبعض الناس ما خفي على غيره ويظهر للإنسان الواحد في حال ما خفي عليه في حال أخرى وأيضاً فالمقدمات وإن كانت خفية فقد يسلمها بعض الناس وينازع فيما هو أجلى منها وقد تفرح النفس بما علمته من البحث والنظر ما لا تفرح بما علمته من الأمور الظاهرة ولا شك أن العلم باثبات الصانع ووجوب وجوده أمر ضروري فطري وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجهم إلى الطرق النظرية .

وقد أدخل المتكلمون في أسماء ا [تعالى القديم وليس هو من الأسماء الحسنى فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن : هو المتقدم على غيره فيقال : هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا فيما [لم] يسبقه عدم كما قال تعالى : { حتى عاد كالعرجون القديم } والعرجون القديم : الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني فإذا وجد الجديد قيل للأول : قديم وقال تعالى : { وإذ لم يهتدوا به

فسيقولون هذا إفك قديم { أي متقدم في الزمان وقال تعالى : { أفرايتم ما كنتم تعبدون *
أنتم وآبائكم الأقدمون } فالأقدم مبالغة في القديم ومنه : القول القديم والجديد للشافعي
منه ويستعمل يتقدمهم أي { النار فأوردتهم القيامة يوم قومه يقدم } : تعالى وقال تعالى C
الفعل لازما ومتعديا كما يقال : أخذت ما قدم وما حدث ويقال : هذا قدم هذا وهو يقدمه
ومنه سميت القدم قدما لأنها تقدم بقية بدن الإنسان وأما إدخال القديم في أسماء □ تعالى
فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف منهم ابن حزم ولا ريب
أنه إذا كان مستعملا في نفس التقدم فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من
غيره لكن أسماء □ تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل [على] خصوص ما يمدح به والتقدم
في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها فلا يكون من الأسماء الحسنى وجاء الشرع
باسمه الأول وهو أحسن من القديم لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم
وا □ تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة